نظريّة المبادئ والمقاييس
في كتاب البرنامج الأدنويّ لنَعُوم تشومسكي

محمّد عبد الودود أبغش
باحث في اللسانيات

الملخّص

يرمي هذا المقال إلى تقديم نظريّة المبادئ والمقاييس من خلال كتاب" البرنامج الأدنويّ" (The Minimalist Program) لمؤلفه"نعوم تشومسكي"1995، حيث خَصّص المؤلّف لهذهالنّظريّة فصلا خاصّا بها، كتبه بالتعاون مع"هاوَرد لاسْنيك،"وجعله أوّلَ فصول الكتاب الأربعة. وقد حاول تشومسكي في هذا الكتاب وضع النظريّة اللسانيّة في إطار أشمل، هو العلوم العرفنيّة (Cognitive Sciences)، برنامج للبحث علميٌّ وفلسفيّ شامل يتّخذ من دراسة الذهن/الدماغ موضوعا له.وقد كان السببُ في اهتمام العمل الذي بين أيدينا بنظريّة المبادئ والمقاييس افتراضَه مركزيّتها في النحو التوليديّ، لأنها نظريّة للنّحو– بسيطةٌ وأنيقة– تقيِّد العمليّات النّحويّة بمبادئ فطريّة عامة، هي مبادئالنحو الكلّيّ. وقد تكون هذه الفرضيّة(الفطريّة) أهمّ مظهر من المظاهر" الثوريّة" في المنظور التوليديّ. ثمّ إنّ للنظرية قدرة على حل كثير من المشاكل التّقليديّة، كمسألتَي الأنماطيّة(تصنيف الألسنة) وتنوّع الألسن: فيمكن تفسيرهما باختيار المقياس؛ وكنظريّة اكتساب اللّسان: فيمكن أن تُردّ إلى اكتساب الوحدات المعجميّة وتثبيت المقاييس ونضج المبادئ.

الكلمات المفاتيح: اللسانيّات التوليديّة، المبادئ والمقاييس، النّحو الكلّيّ، الأدنويّة.

المقدّمة

"خلافا للمقاربة التّصنيفيّة المعتمدة في النّحو التّقليديّ، يتّخذ تشومسكي مقاربة عَرفنيّة[1] لدراسة النّحو. فيرى تشومسكي أنّ هدف اللّسانيّ هو تحديد ما يعرفه المتكلّمون بالسّليقة عن لغتهم الطّبيعيّة التي تمكّنهم من التكلّم باللّغة وفهمها: فلذلك كانت دراسة اللّغة قسما من دراسة كبرى للعَرْفنة (أي ما يعرفه البشر)"(Radford, 2004, p. 6).

لوضع المسائل في سياقها الطبيعي الذي وردت فيه، سيبدأ العمل بتقديم مقتضب لكتاب' البرنامج الأدنوي' وبيانِ أهم ما جاء فيه من الفرضيات والقضايا الكبرى؛ ثم بعد ذلك يَبسط القول في نظريّة المبادئ والمقاييس، أوّلِ فصول الكتاب.

كتاب' البرنامج الأدنوي'

يتألّف كتاب" البرنامج الأدنويّ" من أربع مقالات:(1) 'نظريّة المبادئ والمقاييس' (صص. 13-127)؛ و(2)' ملاحظات في الاقتصاد والاشتقاق والتّمثيل' (129-166)؛ و(3)' البرنامج الأدنويّ للنظريّة اللسانيّة' (167-217)؛ و(4)'المقولات والتحويلات' (219-394).

والمقال، موضوع العمل(أول فصول الكتاب)، قد كتبه معه" لاسنيك" وكانت المقالات الثلاثة الأولى قد ظهرت من قبلُ وأعيد طبعُها في الكتاب بتعديل طفيف (Zwart, 1998, p. 213). أمّا المقال الرابع، فقد كان متداوَلا في صورة مخطوطة عام 1995؛ وقد شاعت تسميتُه بـ" الفصل الرابع" (المرجع نفسه).

---

[1] كان كاتب هذه الأسطر قد حاول اختبار الترجمات الثّلاث (المعرفة والعِرفان والعَرْفنة) لِـ Cognition وقيْسها بمقياسين اثنينيدلّ عليهما المصطلح الأجْنبيّ: (أ)' الدّلالة على المعرفة؛' و(ب) الدّلالة على' الحدث'(حدث، معالجة المعرفة). وتوصّل من ذلك، بعد قيْس كل ترجمة بالمقياسين، إلا أنّه ممّا لا شكّ فيه أنّ' العَرْفنة'مصطلح جديد تمام الجدّة (مولّد صُوريّ)، بل قد يُعتبَر غريبا أوّل مرّة؛ لكنّه، في دلالته على المعالَجة، معروف من النّاحية الصّرفيّة-الاشتقاقيّة: ففي العربيّة،' التّمريض'معالَجة المريض. والعرفنة من هذه النّاحية تتقاس بالمقياسين وتوافقهما:(1) فهي، بجذرها المعجميّ [ع ر ف]، تدلّ على' المعرفة؛' (2) وهي، بصيغتها الصّرفيّة، تدلّ على 'المعالَجة.' تُزاد على ذلك ميزة أخرى تختصّ بها، ألا وهي طواعيّتها الاشتقاقيّة (عرْفن، يعرفِن، عرْفنة، فهو معرفِن 'Cognizer'). وعلى كلّ حال، "لا مشاحّة في الاصطلاح" كما يُقال (أبغش، 2018، الصفحات 18-20).

افتُتح الكتابُ بمقدّمة (II-I) واختُتم ببِبليوغرافيا عامّة وبثبَت لأهمّ المصطلحات وأسماء الأعلام مع ذكر مواضعها في الكتاب (395-420).

ظهر مقال' نظريّة المبادئ والمقاييس،' الذي كُتب في عام 1991، أوّل ظهور له في كتاب 'Syntax: An international handbook of contemporary research التركيب: دليل دوليّ في البحث المعاصر'(ج. 1)،[1] وأعيد نشره في البرنامج الأدنوي بتعديلات يسيرة (Zwart, 1998, p. 213).

بيّن تشومسكي، في المقدّمة، أن جلّ فصول الكتاب قائم على حلقاته الدراسيّة ومحاضراته في MIT (معهد ماسّاتشيوسُتس للتكنولوجيا) من 1986 إلى 1994. وذكر أنالطلبة والأساتذة وغيرهم، ممن ينتمون إلى مؤسّسات عدّة وتخصّصات مختلفة، كان لهم إسهامٌ كبير في تبلْور الكتاب. ثم جاء بملاحظات تقديميّة بيّن فيها خلفيّة المادّة التي سيأتي بها (The Minimalist Program, 1995, p. 1).

وذكر أن الدّافع إلى هذا العمل سؤالان مترابطان: (1) ما الشّروط العامة التي يجب أن تلبّيَها ملكة اللغة البشريّةُ؟ و(2) إلى أيّ مدى تتقيّد ملكة اللغة بهذه الشروط، دون أن توجَد بنية يربطها غيرُ تلك الشروط؟

الفرضيّات الكبرى

لكتاب البرنامج الأدنويّ عدّة فرضيّات (Assumptions) كبرى يشترك فيها مع الكتب التي سبقته حتى بدايات خمسينات القرن العشرين، وإن كانت تلك الفرضيّات قد اتخذت أشكالا مختلفة مع تقدّم البحث. من هذه الفرضيّات مثلا، فرضيّته القائلة بوجود مكوِّن من مكوِّنات ذهن/دماغ الإنسان مخصَّص للّغة (ملكة اللّغة) يتفاعل مع أنظمة أخرى. ويبدو أن هذه الفرضيّة، وإن لم تكن بَدَهيّة الصحّة، فرضيّة قد أُقيمتْ بالبراهين إقامةً حسنةً، وسيواصل تشومسكي التمسّك بها في الكتاب مسلّما بصحّتها، مع الفرضية الاختباريّة الإضافيّة القائلة إن لملكة اللّغة ما لا يقلّ عن مكوِّنيْن: (أ) 'نظام عَرْفنيّ' (Cognitive system) يخزِّن المعلومات؛ و(ب) 'أنظمة إنجاز' (Performance systems) تنفُذ إلى تلك المعلومات وتستعملها بطرق متعدّدة. وبيّن أنّ النّظام العَرْفنيّ هو الذي سيهتمّ به اهتماما كبيرا هنا (Chomsky, 1995, p. 2).

---

[1] وهو كتاب نشره "جُوياكِيم ياكُوبْس" (Joachim Jacobs) وآخرون، 1993 (صص. 506-569).

وافترض أنّ أصل تنوّع الألسن إنما هو النظام العَرْفنيّ، وليس أنظمة الإنجاز؛ رغم أنها من مكوّنات ملَكة اللغة. والسبب في ذلك أنّ هذه الأخيرة لا تختصّ بلسان دون لسان، بخلاف النظام العَرْفنيّ (المصدر نفسه).

ثم بيّن أنّه يستعير أيضا من بحوثه الأولى الفرضيّة القائلة بتفاعل النظام العَرْفنيّ مع أنظمة الإنجاز من خلال مستويات التمثيل اللغويّ، بالمعنى التقنيّ للمفهوم. والفرضيّة الأكثر نضجا، هي الفرضيّة القائلة بتفاعل "النظام العَرْفنيّ مع هذين النظامين الخارجيّيْن فقط: النظام الإدراكيّ–النّطقيّ (A–P) والنظام القصديّ–التصوّريّ (C–I). فيكون هناك مستويان وجيهيّان (Interface levels): مستوى الصّورة الصّوتيّة (PF) في وجيهة النظام الإدراكي–النّطقيّ؛ ومستوى الصّورة المنطقيّة (LF) في وجيهة النظام القصديّ–التّصوّريّ. وتُعتَبر خاصيّة 'الوجيهة المزدوِجة' هذه طريقةً من طرائق التعبير عن الوصف التقليديّ للغة أنّها الصوت (اللفظ) والمعنى، الذي يرجع إلى أرسطو.

ولئن كانت هذه الفرضيّات (عن الهندسة الدّاخليّة لملكة اللغة ومحلّها بين غيرها من أنظمة الذهن/الدّماغ) قد شاع اعتمادها، ولو ضمنيّا، فإنّها غيرُ بَدَهيّة على الإطلاق. فلذلك لم تكن محلّ إجماع. غير أنّ تشومسكي يبيّن أنّه سيتمسّك بكثير من هذه الفرضيّات الاصطلاحيّة، منوِّها على أنّه إن ثبتت صحّتها، ولو جزئيا، فإنّ ذلك سيكون اكتشافا باهرا وعظيما (نفسه، صص. 2–3).

مركزيّة منوال م وم في التوليديّة

إنّ القضايا الكبرى التي توجّه كتاب البرنامج الأدنويّ تبرُز في ما اتخذه "منوال المبادئوالمقاييس" (P&P model، منوال م وم) من صور منذ خمسين عاما تقريبا. فإنّ نظرةً إلى التاريخ الحديث قد تفيد في وضع هذه القضايا في سياقها. علما أنّ هذه الملاحظات ملاحظات عامّة مجتزَأة، وتَستفيد من الرجوع إلى الماضي(Chomsky, 1995, p. 3).

مشكلان: الكفاية الوصفيّة والكفاية التفسيريّة

واجه النحوُ التوليديُّ الأوّلُ مشكليْن مباشريْن: (أ) إيجاد طريقة لوصف ظواهر الألسُن المخصوصة ("الكفاية الوصفيّة،"Descriptive adequacy)؛ و(ب) تفسير الكيفيّة التي تظهر بها معرفة هذه الوقائع في ذهن المتكلّم–السامع ("الكفاية التفسيريّة"،Explanatory adequacy). ولئن كان يصعب أن يُقَرَّر برنامجُ البحث هذا في ذلك الوقت، فإنّه قد بَعث اهتمامات التراث الثريّ، الذي قد يكون "أوتُّويسبّرسن"(Otto Jespersen) آخِرَ أكبرِ ممثّل له.

يفترض تشومسكي أن النّظام العَرْفنيّ، في أيّ لسان، يتكوّن من نظام حوسبيّ (CS) ومعجم (Lexicon). فالمعجم يُخصِّص العناصر التي ينتقيها النظام الحوسبي ويُدمجها لتكوين العبارات اللّسانيّة –(صص، صم)، باعتبارها مزاوَجات 'Pairings'(Chomsky, 1995, p. 6).

الحقل اللساني حقل متغيّر

الحقل في تغيّر مستمرّ، سببه تأثير جديد الموادّ الاختباريّة والأفكار النظريّة. فما يبدو اليوم مقبولا قد يأخذ غدا صورة مختلفة. وهي سيرورة تعكسها مادّة هذا الكتاب. ففصلاه، الأوّل والثاني، قد كُتبا من منظور متشابه جدّا. أمّا الفصل الثالث فتتغيّر فيه المقاربة، ويصل التغيّر ذروته في الفصل الرّابع. ولئن كان الإطار العامّ قد بقي كما هو، فإنّ التغييرات كبيرة في كلّ نقطة. فالتصوّرات والمبادئ التي تُعتبر أساسيّة في فصل من الفصول تفنَّد وتحذَف من الفصول التي تليه.

وختاما لمقدّمة الكتاب، يذكر تشومسكي أنّ " النّتيجة النهائيّة صورة للّغة تختلف اختلافا كبيرا عن الصور السابقة. وسواء أكانت هذه الخطوات على الطريق الصّحيح أم لا، فممّا لا شكّ فيه أنّ الزمن وحدَه الّذي سيُخبِر بصحّتها من خطئها" (Chomsky, 1995, p. 10).

نظريّة المبادئ والمقاييس

إنّ نظريّة المبادئ والمقاييس (هوم) ليست نظاما نظريّا واضح المعالم، وإنّما هي مقاربة مخصوصة لمسائل قديمةٍ في دراسة اللغة توجّهها بعض الأفكار الكبرى التي تكوّنت مع أصول النحو التوليديّ الحديث من 40 سنة تقريبا. وفي عام 1980 تقريبا، تبلورت هذه الأفكار في مقاربة للموضوع مغايِرة. ومنذ أعوام، تطوّرت عدّة متغيِرات واكتُشفت. وكان الأساس الاختباريّ (Empirical) لهذه البحوث قد اتسع اتساعا كبيرا وامتدّ إلى لغات ذات أنماط كثيرة التنوّع وأتى بعدد كبير جدّا من النتائج عن طبيعة اللغة واستعمالها.

ذكر تشومسكي ولاسني كأنهما لنيُحاولا، في هذه الدراسة، بيانَ المقترحات المختلفة التي بُحث فيها أو تقويمَ نجاحها الاختباري وعدم كفايتها. بل سيتّبعان 'سبيلا في البحث' مخصوصا، من خلال الأفكار والمبادئ التي وُضعت، مشيريْن أحيانا إلى اتجاهات أخرى قد اتُّبعت، لكن دون أيّ محاولة لأن تكون شاملة؛ وكذلك، فإنّ الإحالات الببليوغرافيّة بعيدة عن الشّمول، فلا يذكران، في الغالب، إلاّ بعض الدّراسات المرتبطة بقضايا مخصوصة. ونبّها إلى أنه لا ينبغي أن يُعتبر اختيارُ سبيل في البحث مخصوص إلاّ جهازا تفسيريّا وجهدا مبذولا لتحديد أنواع القضايا التي يمكن أن تُدرَس،

وبعضا من التفكير الذي يوجّه كثيرا من البحث، ودافعَه الاختباريّ (Chomsky & Lasnik, The Theory of Principles and Parameters, 1995, pp. 13-14).

قادت دراسةَ النحو التّوليديّ عدةُ مشاكل أساسيّة، لكلّ منها طعم تقليديّ. والاهتمام الأساسيّ هو بيان القدرات اللغويّة للأفراد المخصوصين. فلذلك بيّن المؤلفان أنّهما قد اهتمّا بحالات (States) ملكة اللغة التي يتصوّران أنّها منطقة من الخصائص والقدرات العَرْفنيّة، وهي مكوّن مخصوص من مكوّنات الذهن/الدماغ. فلملكة اللغة حالة أولى(Initial state)، محدّدة وراثيّا؛ تمرّ -في تطوّرها الطبيعيّ في بداية الطفولة- بعدّة حالات متعاقبة، لتبلُغ حالة قارّة (Steady state) ثابتة نسبيّا تشهد تغيّرا طفيفا لاحقا، باستثناء المعجم. ويُفترض أنّ 'الحالة الأولى' متماثلة (Uniform) لدى البشر.

واعتمادا على مصطلحات تقليديّة للاستعمال المخصوص، سَمّيا نظريّة الحالة التي بَلغت الاستعمالالنحوَ (Grammar) ونظريّة الحالة الأولى التي لم تصل إلى الاستعمال بعدُالنحو الكليّ(**ن ك** 'UG')؛ وقد اعتبر تشومسكي أن الـ **نك** هو'المكوّن الوراثيّ' (Chomsky, Problems of projection, 2013, p. 33).

فلذلك وجب تحديد مشكليْن أساسيّين لدى كلّ فرد (ولْيكنْ زيدا): (1) خصائص الحالة القارّة التي بلغتْها ملكة زيد؛ و(2) خصائص المكلة الأولى التي هي موهبة مشتركة بين البشر. فميّزا بين قدرة (Competence) زيد (المعرفة والفهم) وإنجازه (Performance، أي ما يفعله بتلك المعرفة وذلك الفهم). والحالة القارّة تكوّن قدرة زيد اللغويّةَ النّاضجةَ.

من الخصائص البارزة للحالة القارّة الخاصيّة التي تتيح استعمالا لا متناهيا لأدوات متناهية (Infinite use of finite means)، مستعيريْن من مصطلحات «هومبولدت» (Humboldt). والخيار المخصوص من هذه الأدوات المتناهية هو اللسان المخصوص، على اعتبار اللغة طريقة للكلام والفهم، في التعريف التقليديّ. وتتكوّن قدرة زيد من نظام مخصوص من أدوات متناهية اكتسبها.

المشاكل التقليديّة في دراسة اللغة

ذكر تشومسكي ولاسنيك أنّ من المشاكل التقليديّة في دراسة اللغة:

أ- ما الذي يعرفه زيد عندما يكون لديه لسان مخصوص؟

ب-كيف اكتسب زيد هذه المعرفة؟

ت-كيف يُنجز زيد هذه المعرفة في الاستعمال؟

ث–كيف تطوّرت خصائص الذهن/الدّماغ هذه في 'النّوع البشريّ؟'

ج–كيف تتحقّق هذه الخصائص في آليّات الدّماغ؟

ويُفترض أن يكون الجواب عنالمشكل (ب) في النحو التوليديّ. وستكون النظريّة الدّقيقة للحالة الأولى ثريّة بما يكفي لتصف تحصيل اللسان المخصوص على أساس البداهة الحاصلة عندالطّفل، ولكنّها ليست ثريّة إلى الحد الذييُقصي الألسنة القابلة للتحصيل. فقد يُتساءل أيضا عن الكيفيّة التي تتفاعل بها العوامل البيئيّة وعمليّات النّضج مع الحالة الأولى التي يصفها النّحو التّوليديّ.

يفترض تشومسكي ولاسنيك أيضا وجود مكوّنيْن للّغة(الإجراء التّوليديّ، أو ل–الدّاخليّة 'I–language'): (1) النّظام الحوسبيّ و(2) المعجم. فالأوّل يولّد صورة الأوصاف البنيويّة (SDs)؛ والثّاني يوصّف الوحدات المعجميّة التي تظهر فيها. وهنا تظهر قضايا حاسمة كثيرة مثل الكيفيّة التي يتفاعل بها هذان النّظامان (Chomsky & Lasnik, 1995, p. 20).

وقد كانت الأبحاث الحديثة في النّحو التّوليديّ قد أخذت أفكارا أساسيّة من النّحو التّقليديّ الذي يرى(1) أنّ للجملة سُلّما/تراتبيّة(Hierarchy) من المركّبات (المركّب الاسميّ، و'المركّبات الإسناديّة'(Clauses)، إلخ.) وأنّ هذه (أو رؤوسها) تدخل في بعض العلاقات النّحويّة؛ و(2) أنّ هذه الجمل تنتمي إلى أبنيةنحويّة مختلفة ذات علاقات نسقيّة بعضها أبسط من بعض (فالمبنيّة للمعلوم أبسط من المبنيّة للمجهول، والأبنية الخبريّة أبسط من الاستفهاميّة، إلخ.). فكذلك جاءت النُّسخ الأولى من ن ك بنوعين من القواعد: (1) قواعد لبنية المركّب تولّد الأوصاف البنيويّة التي تعبّر عن تراتبيّة المركّبات؛ و(2) قواعد تحويليّة تكوّن الأبنية النّحويّة من أشكال باطنيّة مجرّدة.

وقد اتُّبعت هذه الأفكار من بداية السّتّينات، لتقود إلى مقاربة هوم: فالفرضيّة هي أنّ كلّ المبادئ مسندة إلى ن ك وأنّ تنوّع الألسن راجع إلى بعض الخيارات في الكيفيّة التي تطبَّق بها المبادئ (Chomsky & Lasnik, 1995, p. 24).

تهدف مقاربة هوم إلى تقليص التّقريرات الوصفيّة إلى صنفين: اللغة–الثابتة (Language–invariant)، واللسان–المخصوص (Language–particular). فتقريرات اللغة–الثابتة هي المبادئ (وتشملالمقاييس، إذ إن كل مقياس يوافق مبدأً للن ك)؛ وتقريرات اللسان–المخصوص تخصيصات للقيم المخصوصة للمقاييس. وبذلك فإنّ مفهوم البناء (Construction)، في معناه التّقليديّ، يختفي اختفاء حقيقيّا؛ فقد يكون مفيدا في التّصنيف الوصفيّ لكن ليس له من كينونة نظريّة. فلا تكون

هناك أبنية من قبيل المركّب الفعليّ أو المركّب الاستفهاميّ والموصوليّ، أو البناء للمجهول والبناء للمعلوم. بل ليس هناك إلّا مبادئ كلّيّة تتفاعل لتُكوّن هذه الحِيل التّفسيريّة.

صنفان من الخيارات المقياسيّة

يبدو أنّ الخيارات المقياسيّة المتاحة خيارات مقيَّدة إلى حدّ كبير. فيمكن الحديث عن صنفين من الخيارات: (1) خيارات في خصائص' المعجم؛' أو (2) خيارات في نقطة الاشتقاق (الشكل1) منالب–العميقة إلى **الص م**حيثتُسقَطالبنيات على **الص ص** (ب–سطحيّة).

مستويات التّركيب

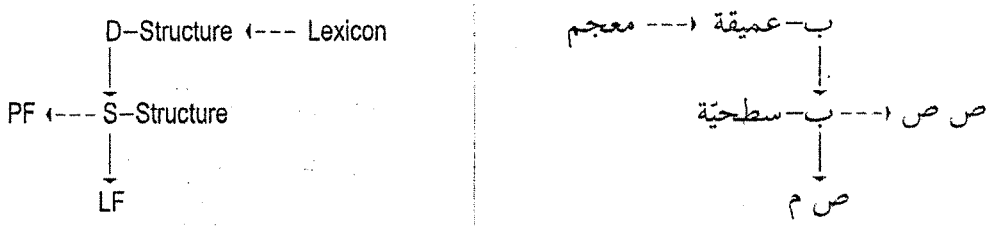

ملحوظة: العلاقة بين هذه المستويات 'اتّجاهيّة'(Directional). أي إنّ العلاقات تنشأ من إسقاط مستوى على مستوى آخر: فالب–العميقة تُسقَط على الب–السّطحيّة، الّتي تُسقَط على الص ص وعلى الص م على نحو منفصل.

الشكل1: مستويات التركيب(Chomsky & Lasnik, 1995, p. 22)

ففي الصّنف (1) نجد تنوّع الرؤوس (مثل هل تأتي الأفعالُ قبل متمّماتها أم بعدها).

وفي الصّنف (2) نجد، على سبيل المثال، لغات لها نقل ظاهر(Over movement) للمركّب الاستفهاميّ (Question phrase؛ كالإنغليزيّة والإيطاليّة، إلخ.) ولغات ليس لهانقل ظاهر (كالصينيّة واليابانيّة، إلخ.).

يفترض الكاتبان وجود دليل قويّ على وقوع عمليّاتِ نقل في 'الألسن التي ليس لها نقل ظاهر' مشابِهةٍ لما يوجد في' الألسن التي لها نقل ظاهر'، ولكنّها إنّما تقع في الإسقاط، من الب–

السّطحيّة إلى الص م، من دون قرينة في الصّورة الفيزيائيّة نفسها؛ فنقطة التّفرّع الّتي تكوّنت فيها الص ص من الب–السّطحيّة تسبق هذه العمليّات في الإسقاطمن الب–العميقة إلى الب–الص م (يُنظر الشكل 1).

وكذلك الأمر في" الحالة الإعرابيّة" (Grammatical case): فمن الألسن ما تتجلّى فيه تجليّا ظاهرا(كالإغريقيّة والألمانيّة واليابانيّة، إلخ.) ولغات أخرى تكون فيهامقدَّرة (Virtual) (كالإنغليزيّة والصّينيّة، إلخ.). غير أنّه يوجد أيضا دليل جيّد يقول بتشابه جميع الألسنة في أنظمة الحالة(Case systems) وأهمّيّتها فيها وإنّ الفروق إنّما تقع في تحقّقها الصّوتيّ(الإسقاط على الص ص) (Chomsky & Lasnik, 1995, p. 26).

وهنا سيكون التنبّؤ العامّ، لكلّ الأبنية، هو أنّ الألسنة ستكون شديدة التّشابه في مستويي الب–العميقة والص م.

تندرج المبادئ التي دُرست في صنفين عامّين: مبادئأُجريتلبناء الاشتقاقات(العمليّات التّحويليّة والشّروط التي تعمل فيها)، ومبادئ تُجرى للتّمثيلات(شروط التّسويغ 'Licensing'). فالعمليّات التّحويليّة هي النّقل(الإلحاق والاستبدال) والحذف وقد يكون منها الإقحام؛ فقد نحسبها تحقّقات/أمثلة لعمليّة عامّة هي عيّنْاً (Affect α)، حيث تكونأ اعتباطيّة. وسيُقيّد شرطُ المحلّيّة (Locality) وغيرُه من الشروط إجراء هذه العمليّات واشتغالَها.

وأمّا قيود التّسويغ في المستويين الوجيهيّيْن الخارجيّيْن للص ص والص م فتنشئ علاقة اللّغة بملكات الذهن/الدّماغ الأخرى. وأمّا شروط الب–العميقة فتبيِّن الطّريقة التي يعبَّر بها عن الخصائص المعجميّة في البنيات النّحويّة. وإن كانت للب–السّطحيّة شروط فإنّها أقلّ وضوحا، ولكن الظاهر أنّها قد توجد (Chomsky & Lasnik, 1995, p. 27).

للمبادئ بنية إضافيّة. إذ تُوجَد تجمّعات طبيعيّة في منظومات/مجزوءات (Modules)[1] اللغة(نظريّة الرّبط، والنظريّة المحوريّة، ونظريّة الحالة، إلخ.). وتَدخل بعض المتصوَّرات الجامعة في عدّة منظومات أو فيها كلّها: مثل قيود المحلّيّة، والخصائص" الهندسيّة" المحدَّدة في واسمات المركّب

---

[1] يُترجَم مصطلح 'Module' في تونس بـ'المنظومة'؛ وفي المغرب بـ'المجزوءة' (يُنظر مدخل 'Module' في معجم المصطلحات اللسانية (Fassi Fehri, 2009, p. 200).

(Phrase marker)، إلخ. وتوجد أيضا بعض الأفكار العامّة التي يبدو أنّ لها قابليّة إجراء كبيرة، منها مثلامبادئ الاقتصاد القائلة بمنع وجود رموز زائدة (Superfluous) في التّمثيلات (مبدأ التّأويل التّام؛ ت ت، Fl)، أو مراحل زائدة في الاشتقاقات.

من المشاكل التّقليديّة ما يتّخذ صورة مختلفة في مقاربة الهوم. فقضيّتا الأنماطيّة (تصنيف الألسن) وتنوّع الألسن يمكن تفسيرهما على أساس اختيار المقياس. ونظريّة اكتساب اللّسانيمكن أن تُربط باكتساب الوحدات المعجميّة، وتثبيت المقاييس، ويمكن لها أن تتطرّق إلى نضج المبادئ.

النحو الكلّيّ نظريّة خفيفة

كان كثير من البحث في النّحو التّوليديّ قد اتّبع في الأعوام الماضية فرضيّة عمل تقول إنّ الن ك**نظريّة** بسيطة وأنيقة(لبِقة)، ذات مبادئ أساسيّة لها خاصّةٌ حدسيّة وتعميمٌ كبير.

يرى تشومسكي ولاسنيك أن **للن ك** فرضيّة أساسيّة، ألا وهي أنّه 'غير حشْويّ' (Nonredundant)، أي إنّ الظّواهر تفسَّر بتفاعل المبادئ بطريقة واحدة. وقد أثبتت فرضيّات العمل هذه نجاحها في توجيهالبحث، لتقود إلى اكتشاف عدد كبير من الظّواهر الاختباريّة في لغات شديدة التّنوّع وإلى صور من التّفسير تجاوزت بكثير حدود تأمّل القدامى(تشومسكي ولاسنيك: 29). وهو المعنى الذي عبّر عنه اللسانيّ الإنغليزي" نيل سميث،" في توطئته لكتاب تشومسكي' آفاق جديدة في دراسة اللغة والذهن،'بقوله:

"ما من شكّ في أنّ التطوّر، أثناء العقدين الأخيرين لنظريّة "المبادئ والمقاييس،" هو أوّلُ تصوّر للغة جديدٍ بحقّ في ألفين وخمسمائة عام. فهو مختلِف جدّا–من الناحية التصوّريّة– عن أوصاف اللغة الأولى، التقليديّة والتوليديّة، فهذه أوّل مرة، وفقا لتشومسكي، يُمكن لنظريّة لسانيّةٍ أن تُنعَت بأنها "ثوريّة،"وهو وصف شاع أن تُنعَت بهبحوثهفي خمسينات القرن العشرين. النّسخة الرّاهنةُ لـ"نظريّة المبادئ والمقاييس"–المختلفةُ اختلافا كبيرا عن نسخة بداية الثمانينات– مسجَّلةٌ في كتاب 'البرنامج الأدنويّ' في التسعينات. وتقوم هذه النسخة على محاولةٍ جذريّة من أجل إعادة التفكير في أسس المبحث العلمي (Discipline) بإقصاء كلّ بلْورة ذهنيّة غيرِ ضروريّة تصوّريّا أو لا تفرضها الضّرورة الاختباريّةُ: أي المقتضيات المعتادةُ للعلم"(Smith, 2000, p. xi).

نظريّة المبادئ والمقاييس ونظريّة العمل والربط

ذكر تشومسكي ولاسنيك (1995, p. 30) أن مقاربة الهوم تُسمّى أحيانا نظريّة العمل والرّبط (Government-Bindingtheory)، فالمصطلحات خدّاعة. والحقّ أنّ الجهود الأولى لتشكّل التّفكير الرّاهن في هذه المصطلحات قد وقعت من أجل التّركيز على نظريّتَي العمل والربط(تشومسكي 1981أ)، لكنّ منظومتي اللّغة هاتين تقومان إزاء منظومات أخرى كثيرة: نظريّة الحالة(الإعرابيّة) والنظريّة المحوريّة وهلمّ جرّا.

قد يكون لمتصوَّر العمل دور جامع نوعا ما، لكن لا شيء ملازم للمقاربة (هوم) يتطلّب متصوَّر العمل هذا.

بما أنّ نظريّتي العمل والرّبط تتطرّقان لظواهر أساسية، فإنّهما ستَظهران في كلّ مقاربة للّغة بصورة من الصّور؛ وليس لهذه المقاربة عليهما من مأخذ. فبيان طبيعة هذين النّظامين وغيرِهما من الأنظمة مشروع عامّ مشترَك، وليس خاصّا بهذا التّصوّر المخصوص لطبيعة اللّغة واستعمالها.

الخاتمة

يُستنتج ممّا سبقأن نظرية المبادئ والمقاييسأساسيّة في المقاربة التوليديّة عموما والمنوال الأدنويّ(Minimalist Model) خصوصا، وذلك لاعتمادها على نظريّة للنّحوبسيطة تُقيِّد العمليّات النّحويّة بمبادئ فطريّة للنحو الكلّيّ. وقد تسمّى هذه المبادئ' قيودا' أو 'شروطا:' مثل مبدإ المحلّيّة، ومبدإ الرّأسيّة(Principle Headedness)، ومبدأ الثّنائيّة (Binary Principle)، ومبدأ جذب الأقرب(Attract Closest Principle)، وشرط عدم اختراقيّة الطّور (Phase Impenetrability Condition؛ وهي مبادئ تصف الجوانب النّحويّة المشتركة بين جميع الألسنة الطّبيعيّة،أي الخصائص الكلّيّة. فينشأ من ذلك أمر مهمّ، ألا وهو "تقليص" عبء تعلّم النّحو المفروض على الطّفل. فقابليّة التّعلّم (Learnability) معيار لكفاية أيّة نظريّة للنّحو.

غير أنّه لا يمكن أن تكون جميع جوانب نحو الألسن كلّيّة(فطريّة)، فثمّة جوانب نحويّة تختلف من لسان إلى لسان تبعا لاختلاف في المقاييس: يكون ذلك بإعمال خيار من خيارات معطاة مسبّقا انطلاقا من مُجمَل الممكِناتِ المحدَّدةِ من قبلُ. من مثل أنّ الألسن إمّا أن تكون ذاتَ 'رأس عن اليسار' (الفعل يسبِق مفعولَه، كما في الإنغليزيّة) أو تكونَ ذاتَ 'رأس عن اليمين' (المفعول يسبق الفعل، كما في اليابانيّة). فالطّفل يعرف هذا البديل من الميلاد وليس له إلاّ أن يُعمِله من أجل

"تثبيت مقاييس" اللّسان الذي يتعلّمه، وهو ما يسمّى مقياس موضع الرّأس(Head-Position Parameter).

يمكن أن توصف كلّ الاختلافات النّحويّة بين جميع الألسن باعتماد جملة من المقاييس، في كلّ مقياس خياران ثنائيّان في القيم المقياسيّة الممكنة. وبذلك فإنّ الطّفل، في تعلّمه للسان من الألسن، لا يبدأ من الصّفر: وإنما ينطلق من هذه الخيارات المزدوجة، الثاوية في ملكته اللغويّة، فيُعمل منها ما يلائم اللّسان الذي يتعرّض له في بيئة من البيئات انطلاقا من تجربة مخصوصة.

ممّا لاحظه كاتب هذه الأسطر أن تشومسكي ولاسنيك، في حديثهما عن" المبادئ والمقاييس،" ناوبا بين عبارات ثلاث: (أ) "نظريّة،" وإن كانا قد أقرّا أنّها ليست نظاما نظريّا متناسقا (Chomsky & Lasnik, 1995, pp. 13-14؛ و(ب)"منوال؛" و(ج) "مقاربة." فما السرّ وراء ذلك يا تُرى؟

البيبليوغرافيا

أ- العربية

أبغش، م. ع. و. (2018). نظريّة الأفضية الذّهنيّة: مبادئها وتطبيقاتها. تونس: دار يافا.

ب-الأعجمية

Chomsky, N. (1995). The Minimalist Program. Cambridge/London: The MIT Press.

Chomsky, N. (2013, June). Problems of projection. Lingua(130), pp. 33 – 49.

Chomsky, N., & Lasnik, H. (1995). The Theory of Principles and Parameters. In N. Chomsky, The Minimalist Program (pp. 13-127). Cambridge/London: The MIT Press.

Fassi Fehri, A. (2009). A Lexicon of Linguistic Terms. Beirut: Dar Al Kitab Al Jadid United.

Radford, A. (2004). Minimalist Syntax: exploring the structure of English. Cambridge: Cambridge University Press.

Smith, N. (2000). Foreword. In N. Chomsky, New Horizons in the Study of Language and Mind (pp. vi–xvi). Cambridge: Cambridge University Press.

Zwart, J.-W. (1998). The Minimalist Program: Review article. Linguistics(34), pp. 213-226.